**قصة قصيرة**

# العنوان: الأصم

**كتبها: حلمي صابر**



بسم الله الرحمن الرحيم

قصة قصيرة: الأصم

حلمي صابر شوال 1441

---



خرجت زفرة من صدر الأصم !

صرخت فيهم ولم يسمعني أحد !

ليتهم يسمعونني. ما أصعب النفخ في بالون مثقوب !.

أنني أختنق، فتحت ياقتي، زفرت زفرة ، أردت أن أتنفس، لا هواء؛ ضاق صدري.

لا تحبس الطيور دعها محلقة في الهواء، دعها تستريح باختيارها على أغصان الشجر، لا تسكتها بقفصك، دعها تغرد صباحا وقبل الغروب، هي لا تحتاج أن تعلمها كيف تلتقط طعامها وحبوبها؛ هي أعرف به منك. لا تبع ولا تشتر بالأقفاص والطيور؛ دعها تطير. لا أحد يسمعني.

دخل الأصم محل أبي توفيق للطيور وتأمل في طير محبوس صامت، تحركت عينا الهدهد في استغراب متسائلا: لم أنا هنا خلف هذا الحديد !؟ صغيراي في العش ينتظران عودتي، سيموت الصغيران في العش. اقترب منه الأصم: ناداه بنغمة صوت التفت إليه الهدهد المحبوس متى ستخرجني يا صاحبي ؟ ليس ثمة جواب وهذا مما زاد قلق الهدهد.

حاول الأصم فتح باب القفص ليهرب الطير، فلكمه البائع وطرده وصرخ بوجهه وخرج مع كلامه القبيح بعض ريقه القذر المليء بدخان السجائر، ويده تصعد في الهواء وتنزل، وأصابعه تتمدد

وتنكمش، حذرتك أيها الأصم الأحمق ألا تفعل ذلك، وهذا إنذاري الأخير إليك وسأكلم والدك ليعاقبك.

بكى الأصم !؟، ما أصعب أن يبكي الأصم؛ اختنق نشيجه في صدره أراد أن يقول لحابس الطيور: لن أدعك تحبس الطيور سأطلقها، ولو كان عندي مالا لاشتريتها وأطلقتها. إنني أكرهك أيها السجَّان. رفع الأصم صوته بدون حروف إنما صوت رافض لكل هذا. الصوت محبوس في داخلي وأنت تحبس الطيور أيضا. التقط الأصم حصاة من الأرض ورمى بها أبا توفيق وولَّى هاربا. حسنًا سأخبر والدك بكل هذا.

سأجد حلا، لن أختنق بعد اليوم، لن أترك أصحابي الطيور محبوسين. سأستعين بالنسر والصقر والطيور والخيل والحمير وكل الحيوانات. اخترق الغابة صوت آلة معروفة عند الطيور . قال النسر هذا صوت صاحبنا ينادينا، إنه متألم جدا؛ سأسرع إليه وطار معه الصقر وبعض الطيور.

رأوا صاحبهم الأصم متكئا على ساق شجرة الزيتون الضخم القصير. اقترب الصقر ما بك يا صديق الطيور ؟ أريد أن نصطاد صاحب محل الطيور القريب من جامع القرية. وهنا تدخل النسر: هذا أمر سهل لكن لماذا نصطاده !؟. حسنا سنصطاده ونضعه في قفص كبير ليعرف هؤلاء جريمتهم في حق أصحابي الطيور . حسنا ولا يهمك سنلتقطه التقاطا مع صاحبي المحلين الآخرين في طرف القرية. هل أقفاصك جاهزة سألته النسور الذين راقت لهم هذه الفكرة.

ستكون جاهزة. سأضع الأقفاص الثلاثة خلف سور المدينة من الداخل ليتفرج الناس عليهم. نحن في انتظارك. انفض الاجتماع على هذا القرار المهم الذي سيمنح الطيران الحر للطيور المحبوسة.

وهذا الذي صار يا أبا فادي. معك حق أبو توفيق. وشادي غلطان بفعلته. لكن أريدك أن تستوعب الموضوع من وجهة نظر ابني شادي. أنت تعرف بأن شادي وفادي توأم. ولدا أصمين. تغير شادي كثيرا بعدما قتل الجنود الصهاينة شقيقه التوأم فادي عند بوابة العبور، أمروه بالتوقف ولم يتوقف. فادي ولد طيب ليس له نشاط مع المقاومة ؛ لأنه مشغول بتوثيق المواضع التاريخية لفلسطين قبل الاحتلال من خلال الوثائق الرسمية وصور الرحالة الأوروبيين. طبعا فادي لم يسمع النداءات بالتوقف لأنه أصم، فظن الجنود الصهاينة بأنه من المقاومة فأطلقوا عليه الرصاص. لكن شادي لم يقبل هذا التفسير بعد موت توأمه فادي؛ ففي بعض الأحيان ينادي اسمه في البيت متوهما وجوده.

هذا جانب من المشكلة. المشكلة الثانية: مع شادي، أنه ليس مستوعبا للجدار الصهيوني الذي جعله الصهاينة كالمسامير الواقفة التي فصلت غزة، وفصلت الأخ عن أخيه والأم عن أولادها. وأنت أبو توفيق أيضا صار معك نفس الشيء، فمزارعكم سلبها الصهاينة لبناء الجدار الفاصل.

وأنت ترى في قريتنا بيت لحم، شادي يصبح ويمسي والجدار أمام عينيه. قال شادي نحن في قفص كبير لكنه مفتوح من أعلى. فلهذين السببين يشعر بالألم حينما يرى طيورا محبوسة؛ لأنه يرى نفسه طيرا محبوسا كما أخبرتك. كلامك منطقي جدا يا أبا فادي، لكن أرجوك أبعده عن محلي، أرجوك لا أريد أن أضره أو أضربه.

ولا يهمك، سأطلب منه ذلك وشكرا على تفهمك يا سيدنا وحقك عليَّ. انفض اللقاء على لا شيء. الأب حزين على ولديه المقتول ظلما والمحبوس صوتا، لن يكلم ولده شادي، فالجدار منصوب، والأخ لن يرجع. وأبو توفيق صُعُب عليه حال شادي؛ فلن يؤذيه ولكنه سيصير حذرا منه عندما يقترب من محل الطيور. نفذوا الخطة ونجحت، اصطادت النسور والصقور الرجال الثلاثة بعد خروجهم من محلاتهم ليلة البارحة.

جاء الصباح ورأى أهل القرية ثلاثة أقفاص داخل السور الذي فتح بابه الخشبي الكبير عند فلق الصبح. في كل قفص صاحب لمحل للطيور. وقفت الطيور على أغصان الشجر فوق الأقفاص وصارت ترمي الخبز والحب واللحم على الثلاثة. كل أيها البائع لحريتنا كل واهنأ عيشا فنحن نعرف إطعامك. عساكم أن تشعروا بشعورنا: كيف تعيش محبوسا في قفص ولو كانت قضبانه من ذهب !.

اقترب شادي من الأقفاص وصار يرمي لهم حبا وعلى صدره ورقة معلقة مكتوبا عليها: اسمعنا تغريدك أيها العصفور الجميل. وكلما مضى الوقت، زاد غضب الثلاثة: أخرجونا من هنا يا رجال القرية اجتمع الناس على الأقفاص الثلاثة بين تعجب وضحك وسخرية. حاول بعض الرجال كسر الأقفال، فانقضت عليه الصقور والنسور فشعر الرجال بالرعب من الطيور الغاضبة. اقترب عمدة القرية من الرجال الثلاثة وأخبرهم لكي تخرجوا من الأقفاص عليكم أن تطلقوا الطيور من الأقفاص أيضا ؛ واحدة بواحدة. هذا حمق وهراء كيف نحرر الطيور من الأقفاص !؟ هذا مصدر رزقنا وعيشنا !. إذن ابقوا في أقفاصكم كالطيور التي بقيت في أقفاصها. بئس التجارة حبس الطيور ومنعها من الطيران.

مضى يوم ويومان وثلاثة وضاق الرجال ذرعا بالأقفاص ولم يستطيعوا تحمل المزيد. سلموا مفاتيح محلاتهم إلى العمدة والتي أخذها لشادي فانطلق مسرعا إلى المحلات وفتح أبواب الأقفاص وطلب من الجميع فتحها ليشارك الجميع في تحرير الطيور. طار الهدهد إلى صغيريه، اقترب الهدهد من عشه فوجد صغيريه ميتين من الجوع. يوم تحريرها كان يوم فرح لكنه مليء بالأحزان. سننسى الأحزان، سنعود من جديد بأمل جديد؛ ما أجمل الطيران في الهواء.

ما أظلم الإنسان الذي يشتري فينا ويبيع، حياتنا انتقال من قفص قديم إلى قفص جديد، تزينون الأقفاص بالألوان الذهبية وتملؤونه حبا ، تغرون بيعنا للزبائن، ونحن في حسرة القهر والظلم. يا بائع الطيور: هو قفص صنعته من خشب أو من حديد، لونته أو لم تلونه هو قفص أنا محبوس

فيه، مات فيه غيري، وفيه قد أموت.  وراء القفص والقضبان صغارنا ينتظرون . لا تدعهم يموتون.

خرج الرجال الثلاثة من الأقفاص، وعوضتهم القرية ببيع الأعلاف والأسمدة للمزارعين.

السؤال: هل يقلقك حبس الطيور !؟

لم يقلقك !.

لا يضرك ولا تكترث؛ فأنت لست خلف جدار في قفص كبير. أعلاه مفتوح، وتحته محتل.

---

انتهى